لغة آدم عليه السلام بين البراهين العقلية والأدلة النصية

دكتور/ محمد بن عبد الله الجغيمان

أستاذ النحو والصرف المساعد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة الملك فيصل

المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

يدور هذا البحث حول (لغة آدم عليه السلام بين البراهين العقلية والأدلة النصية)، وتمثل في الإجابة عن السؤال الآتي: هل اللغة في نَشْأَتِهَا الأولى كانت واحدةً؟، وماذا كانت عليه اللغة في عهد آدم عليه السلام؟ وهل كانت هي العربية أم غيرها أم أن هناك عدة لغات نشأت دفعة واحدة؟.

وقد حاول الباحث أن يستنبط من نصوص كتاب الله تعالى ومن أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ما يوقف على حقيقة الأمر، ومن خلال النصوص القرآنية حاول البحث الوصول إلى نتائج محددة تشير إلى اللغة التي كانت وسيلة الخطاب بين البشر في تلك الفترة، وما بعدها.

الكلمات المفتاحية: آدم عليه السلام –البراهين والأدلة – اختلاف الألسنة– وحدة اللغة.

The language of Adam, peace be upon him, between mental proofs and textual evidence

Dr. Muhammad bin Abdullah Al-Jughaiman
Assistant Professor of Grammar and Morphology, Department of Arabic Language
College of Arts - King Faisal University
Kingdom Saudi Arabia

ABSTRACT

This research turns around (the language of Adam, peace be upon him, between rational proofs and textual evidence), and it is represented in answering the following question: Was the language in its early establishment one? What was the language in the era of Adam, peace be upon him? Was it Arabic or something else, or were there several languages that arose at once? The researcher tried to derive from the texts of the Book of God Almighty and from the hadiths of the Prophet, may God bless him and grant him peace, what stands for the truth of the matter. And through the Qur'anic texts, the research tried to reach specific results that refer to the language that was the means of discourse between people in that period, and beyond.

Keywords: Adam, peace be upon him - proofs and evidence - difference of tongues - unity of language.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين المنَّان الذي علم الإنسان البيان، وأنزل القرآن الكريم نورًا ينير للمرء طريق الأمان، والصلاة والسلام على رسول الله، أفصح الناس لسانًا، وأكرمهم خلقًا وبيانًا... وبعدُ:

فإن هذا البحث جاء معنونًا ب(لغة آدم عليه السلام بين البراهين العقلية والأدلة النصية)

وتمثل في الإجابة عن السؤال الآتي:

هل اللغة في نَشْأَتِهَا الأولى كانت واحدةً؟، وماذا كانت عليه اللغة في عهد آدم عليه السلام؟ وهل كانت هي العربية أم غيرها أم أن هناك عدة لغات نشأت دفعة واحدة؟.

ولما كانت الحقيقة – أيما كانت – تثبت إما بالنص وإما القياس، وليس لدينا في هذا المجال ما يقاس عليه حتى نقيس، فلم يبق لنا إلا النص، لهذا كله حاولت أن أستنبط من نصوص كتاب الله تعالى ومن أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ما يوقفني على حقيقة الأمر.

ويضاف لصعوبة البحث هنا: دقته وخطورته، فكل صاحب لغة سيدعي –تعصباً– أنَّ لغتَهُ هي لغة آدم عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ؛ إذ لا برهان للأول، ولا دليل للثاني.

وأما من خفف عن كاهله عناء البحث، أو تضاربت لديه الأدلة، وخشي الإقدام، فسيدعي أنَّ آدم عُلِّمَ اللغاتِ كلَّها، ثم علمها لأبنائه.

ومن ثم جاء الفصل الأول بعنوان: (اتحاد اللغة في عهد آدم عليه السلام)، ومن خلال النصوص القرآنية سيحاول البحث الوصول إلى نتائج محددة تشير إلى اللغة التي كانت وسيلة الخطاب بين البشر في تلك الفترة، وما بعدها.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان:(البراهين والأدلة على قدم العربية) من خلال نصوص تدل على قدم اللغة العربية قديمًا باتفاق العلماء.

ثم جاءت الخاتمة التي رصدت أهم النتائج التي توصل البحث إليها، ثم مصادر البحث ومراجعه.

الفصل الأول: (وحدة اللغة في عهد آدم عليه السلام وما بعده)

أصدر هذا الفصل بمقولة للإمام الشافعي، وهي: (وَالْعِلْمُ مِنْ وَجْهَيْنِ اتِّبَاعٌ، أَوْ اسْتِنْبَاطٌ وَالِاتِّبَاعُ اتِّبَاعُ كِتَابٍ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَسُنَّةٍ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَقَوْلِ عَامَّةٍ مِنْ سَلَفِنَا لَا نَعْلَمُ لَهُ مُخَالِفًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيَاسٍ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيَاسٍ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيَاسٍ عَلَى قَوْلِ عَامَّةٍ مِنْ سَلَفٍ لَا مُخَالِفَ لَهُ وَلَا يَجُوزُ الْقَوْلُ إِلَّا بِالْقِيَاسِ وَإِذَا قَاسَ مَنْ لَهُ الْقِيَاسُ فَاخْتَلَفُوا وَسِعَ كُلًّا أَنْ يَقُولَ بِمَبْلَغِ اجْتِهَادِهِ وَلَمْ يَسَعْهُ اتِّبَاعُ غَيْرِهِ فِيمَا أَدَّى إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ بِخِلَافِهِ)[(١)] .

إذاً فالحقيقة تثبت إما بالنص وإما القياس، وليس لدينا في هذا المجال ما يقاس عليه حتى نقيس، فلم يبق لنا إلا النص، والنص كما ذُكر إما من كتاب الله أو من سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أو إجماع من السلف الصالح.

لهذا كله حاولت أن أستنبط من نصوص كتاب الله تعالى ومن أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ما يوقفني على حقيقة الأمر أو ما يُقَارِبُهَا.

وهناك نصوص كثيرة دلت على أن اللغة منذ عهد آدم كانت واحدة، ثم إنها تشعبت بعد ذلك لغات عدة، فمن ذلك:

النص الأول: بُعْدُ القول بأن آدم عُلِّم اللغات

إن للعقل توقفاً عن قبول من ذهب في قوله تعالى:"وعلم آدم الأسماء كلها" إلى القول بأن الله علم آدم اللغات؛ لأن هذا مناطُ تساؤلات: فهل علم آدم اللغات؟ وإن كان علمها فكيف بلَّغها؟ ولو علم آدم أبناءه اللغات فكيف يتخاطبون وقد خاطب قَابِيلُ هَابِيلَ؟!.

ولو افترض صحته، وسلَّمْنا بأنّ آدم علم أبناءه اللغات فإن اللغة اتحدت في عهد نوح عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، فلم يبقَ منها –إذًا– إلاَّ ما وصل نوحًا؛ لأن العلماء اتفقوا أنَّ نوحًا لما نزل من السفينة لم يبق غيرُ نسله[(٢)] ؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَه هُمْ الْبَاقِينَ﴾[(٣)] ؛ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في تفسير هذه الآية: ((حام وسام ويافث))[(٤)] .

(١) الأم: ١/ ١٧٩، ٨/ ٦٢٠.

(٢) انظر: نقد المنقول لابن قيم الجوزية: ٦٥، ٧٠، فتح الباري: ١٢/ ١٩٣.

(٣) الصافات: ٧٧

(٤) سنن الترمذي: ٥/ ٣٦٥.

النص الثاني: اختلاف الألسنة آية من آيات الله

ويؤيد بطلانَ هذا القول قولُهُ تعالى:﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ﴾[1]، فالأسود والأبيض والأحمر والأشقر و... كلهم من أب واحد، وحواء من آدم، والاستفهام القرآني هو: كيف اختلفت ألوانهم مع أن الأصل واحد؟!.

وكذلك اللغات – العربية والعِبْرِية والسريانية والحبشية والهندية والفارسية و...– أصلها لغة واحدة، هي لغة آدم عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، فكيف اختلفت؟!، فالاختلاف في اللسان آيةٌ من آيات الله.

النص الثالث: تَطْوَافُ ذي القرنين

أخبرنا الله –عز وجل– في آخر سورة الكهف عن خبر ذي القرنين، فقال تعالى: ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً ﴾[2]، ثم استطرد جلَّت قدرته وهو يحكي لنا عن مسيرة إعادة الأرض لدين الله الحنيف، والذي شرف الله به ذا القرنين، فبدأ بأهل المغرب، قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَها قَوْماً قُلْنا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴾[3]، ثم سار حتى وصل إلى مشرق الشمس: ﴿حَتَّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً ﴾[4]، وفي كل هذه الرحلات والغزوات وكل هذا التَّطواف كان يَرَى أقوامًا فيخاطبهم ويخاطبونه، ويدعوهم إلى الله: ﴿ قالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذاباً نُكْراً...﴾[5].

ثم سار ﴿حَتَّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴾[6]، قرأ حمزة والكسائي: ﴿يُفْقِهُونَ﴾ –بضم الياء وكسر القاف– من أفقه: إذا بان، أي لا يُفْقِهُون غيرهم كلامًا، وقرأ الباقون ﴿يَفْقَهُون﴾ –بفتح الياء والقاف– من فقُه يفقَهُ: أي يعلمون[7].

---

(١) الروم: ٢٢.

(٢) الكهف: ٨٣.

(٣) الكهف: ٨٦.

(٤) الكهف: ٩٠.

(٥) الكهف: ٨٧، ٨٨.

(٦) الكهف: ٩٣.

(٧) الحجة في القراءات السبع: ٢٣١، تفسير الطبري: ١٦/ ١٦، تفسير القرطبي: ١١/ ٥٥.

ألا ترى أن الله حينما تكلم عن غير هؤلاء تحدث على أن لغتَهم مفهومةٌ لذي القرنين، أما هؤلاء فقد حَدَثَ في أصواتهم بعض الشطط والانحراف، فكانوا ﴿لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾[(١)]، فإفهامهم صعب، وتفهيمهم كذلك، فلا هم يكادون يَفْقَهُون من غيرهم، ولا هم يكادون يَفْقَهُون غيرهم؟!.

ولولا وجود الرابط اللغوي المفهوم من قوله: ﴿ يَكادُونَ﴾؛ لاحتاج ذو القرنين إلى مترجم يترجم له.

النص الرابع: الأذان بالحج

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[(٢)]، عن أبي الطفيل قال: قال ابن عباس –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُما– هل تدري كيف كانت التلبية؟ قلت: وكيف كانت؟ قال: إن إبراهيم لما أمر أن يؤذن في الناس بالحج خفضت له الجبال رءوسها، ورفعت له القرى، فأذن في الناس بالحج[(٣)]، قال ابن حجر: (وَأَقْوَى ما فيه عن ابن عَبَّاس ما أَخْرَجَهُ أحمدُ بنُ مَنِيع في مُسْنَدِه، وابنُ أبي حاتم من طريق قابوس بن أبي ظَبْيَان عن أبيه عن ابن عباس –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُما– قَالَ: "لَمَّا فَرَغَ إبراهيمُ –عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ– من بناء البيت قيلَ له: أَذِّنْ في الناس بالحجِّ، قال: رَبِّ وما يَبْلُغ صَوْتِي؟، قال: أَذِّنْ، وعليَّ البلاغ، قال: فنادَى إبْرَاهِيمُ: يا أيها الناس كُتِبَ عليكم الحجّ إلى البيت العتيق، فسَمِعَهُ مَنْ بينَ السماءِ والأرض، أفلا تَرَونَ أنَّ الناس يَجِيئُونَ من أقصى الأرض يُلَبُّونَ")[(٤)].

فبأي لغة أَذَّن؟، يجب أن تكونَ لغةَ ذلك العصرِ متقاربة، حتى إذا أَذَّن إبراهيم عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ استجابة لأمر ربه: فَهِمَهَا كلُّ مَن سمِعَها، فاستجاب له.

(١) الكهف: ٩٣.

(٢) الحج: ٢٧.

(٣) مسند الإمام أحمد: ١/ ٢٩٧.

(٤) فتح الباري: ٣/ ٤٠٩، وانظر الأحاديث في ذلك: سنن سعيد بن منصور: ٢/ ٦١٦، مصنف عبدالرزاق: ٥/ ٩٧، مصنف ابن أبي شيبة: ٦/ ٣٢٩ – ٣٣٠، تفسير الطبري: ١٧/ ١٤٤ – ١٤٥، سنن البيهقي الكبرى: ٥/ ١٧٦، المستدرك: ٢: ٦٠١، وانظر: مجمع الزوائد: ٣/ ٢٥٩.

النص الخامس: لوط وبَعْثُه إلى سدوم

هو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام، وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام وهاجر معه إلى أرض الشام؛ قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[٢]، ثم بعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى[٣]، فلوط كان من أهل العراق، ثم نجاه الله إلى أرض الشام المبارك، ثم بعثه إلى أهل سدوم -قريبة من حلب[٤]، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٥]، فلا بد من كون لسانه كلسانهم ليبين لهم آيات ربه، ويدعوهم إلى طريق الحق[٦]، ومن هذا نستنبط أن لغة أهل العراق وأهل الشام كانت واحدة.

وعليه فيمكن استنتاج بعض النقاط التي يُستأنس بها في وحدة اللغة فمن ذلك:

١ - إبراهيم ورحلته من العراق وحتى مصر

قال تعالى متحدثًا عن خروج إبراهيم من العراق إلى الشام: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[٧]، وقال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[٨]، لقد نَجَّى الله إبراهيم من أهل العراق، فسافر إلى مصر، وهناك وقعت له ولزوجته سارة أمورٌ، ثم عاد فاستقر في الشام، وما زال بعد أن أسكن هاجر وابنه مكة يزورهما فهذا مما يُستأنس به في هذا المبحث، في أن هذه المناطق التي جابها إبراهيم عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ لغتها واحدة؛ حتى تتهيأ له المحادثة والتنقل.

٢ - هاجر أم إسماعيل

جاء في حديث قصة هاجر وإسماعيل: (وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ،

(١) العنكبوت: ٢٦.
(٢) الأنبياء: ٧١
(٣) ينظر تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٣١.
(٤) معجم البلدان: ٣/ ٢٠٠.
(٥) إبراهيم: ١٤.
(٦) سيأتي قريبًا عند الحديث عن سليمان عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ دليل آخر يدل على أن كل نبي بعث بلسان قومه.
٧ - الصافات ٩٩.
٨ - الأنبياء ٧١.

فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ» فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الغُلَامُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ)[1].

أَلاَ يَلْتَفِتُ انتباه قارئ حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى معرفة كيفيَّة مخاطبة المرأة المصرية للقبيلة العربية من أول لُقْيَا؟ ثم كيف أنست بهم وأنسوا بها وهي لا تستطيع مخاطبتهم لاختلاف لغتها؟!.

٣ – إسماعيل عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ

إسماعيل عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ: أبوه إبراهيم عراقي الأصل، وأمه مصرية، والقوم الذين نشأ بينهم عرب من اليمن، فبأي لغات هؤلاء سيأخذ؟ وكيف سيخاطب أباه حينما يقدم عليه وهو لم يتربَّ عنده؟ مع أن الله جل وعلا وصف لنا حكاية ذبح إبراهيم إسماعيل بعد بلوغه فقال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

والظاهر أن لغة إبراهيم وهاجر وجُرْهم كانت لغة واحدة، وهي العربية.

٤ – إبراهيم وزوجتي ابنه إسماعيل

جاء في قصة إسماعيل عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ:(فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ،

١ – صحيح البخاري: (١٤٢/٤)، رقم(٣٣٦٤).

٢ – سورة الصافات ١٠٢.

فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِه فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ». قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ)[1].

لقد خاطب إبراهيم زوجتي ابنه الجرهميتين بلغته، وخاطبتاه بلغتهما، فلا بد وأن تكون لغته ولغة المرأتين واحدة؛ ليتسنى له الحديث معهما.

٥ – مِنْ عِصيانِ بني إسرائيل لموسى عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ

عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل: ﴿ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً ﴾[2] قال: (دَخَلُوا زَحْفًا)، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾[3] قال: (بَدَّلُوا فَقَالُوا: حِنْطَةٌ فِي شَعَرَةٍ) [4]، ونحوه عن ابن مسعود وابن عباس –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُم–[5].

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾[6] قَالَ: الْيَهُودُ: قِيلَ لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا قَالَ: رُكَّعًا، وَقُولُوا حِطَّةٌ أَيْ مَغْفِرَةٌ، فَدَخَلُوا عَلَى اسْتَاهِهِمْ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ حِنْطَةٌ حَمْرَاءُ فِيهَا شُعَيْرَةٌ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[7].

والحِطَّةُ: فِعْلَةٌ مِنَ الحَطِّ؛ كالجِلْسَةِ[8].

إن القارئ لكلمة: (حِنْطَة) يرى شدة قربها لـ(حِطَّة)، فالحاء فيهما مكسورة، وإخفاء النون الساكنة مع الطاء تَقْرُبُ في النطق: الطاء المشددة؛ وهم لم يفعلوا ذلك –ولا سيما إذا نطق بها بسرعة– إلا ليلبسوا على موسى عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ؛

---

١ – صحيح البخاري، (١٤٢/٤)، رقم (٣٣٦٤).
٢ – النساء: ١٥٤.
٣ – البقرة ٥٨.
٤ – مسند أحمد، (٤٧٢/١٣)، رقم(٨١١١).
٥ – تفسير ابن كثير ١–٢٦.
٦ – البقرة: ١٤٢.
٧ – تفسير ابن كثير ١–٥٩.
٨ – تفسير الطبري ١–٩.

﴿ يخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشعُرُونَ ﴾[1]. ألا يستوقفُك أنَّ كِلتا الكلمتين عربيتان؟.

٦ – والدة مريم عَلَيْها الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2]، كانت أمُّ مريم عَلَيْها الصَّلاةُ وَالسَّلامُ امرأةً لا تحمل، فرأت يومًا طائرًا يُطْعِمُ فرخَه، فاشتهت الولد، فدعت الله تعالى أن يهبها ولدًا، فاستجاب الله دعاءها، فلما تحققت الحملَ نذرَتْ أن يكون محررًا أي خالصًا مفرغًا للعبادة، محبوسًا لخدمة الله ولخدمة بيت المقدس، قال ابن عباس –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُما–: ﴿نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: لِلْمَسْجِدِ يَخْدُمُهُ [3].

فأم مريم نذرت مريمَ ألا تبرح بيت المقدس، وأن تكون فيه عابدة قانتة، ولو عدنا إلى معاجمنا اللغوية لوجدنا أن معنى: الرَّيْمُ البَراحُ، والفعل: رام يَرِيمُ، وريَّمَ بالمكان: أقام به، والريْم أَيْضا: الزِّيَادَة وَالْفضل، يُقَال: لفُلَان رَيْم على فلَان، أَي فضل [4].

ماذا كانت تقصد أم مريم من هذه التسمية؟، إن دلالة هذه الكلمة في العربية واضحة في الهدف الذي أرادته أم مريم لمريم، فهي تريدها ألا تبرح بيت المقدس، كما أنها أرادت لها الرفعة والفضل والزيادة عند الله، وهذا ما حل بها؛ إذ يقول تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾[5]، إلى أن بلغت مرتبة الصديقية: ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾[6].

٧ – يحيى بن زكريا عَلَيهما وَعَلَى نَبيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاة وَالسَّلام

قال تعالى: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾[7]، ألا ترى أن كلمة (يحيى) هي فعلٌ مضارعٌ من (حَيِيَ)؟ إذاً إلى أي مدى تصل بنا تلك القرابة بين الاسم الذي اختاره الله لنبي لم يرزقه الله الأبناء، ثم يبشره بابن يحيى ويعيش على كبر من أبيه، وعقمٍ من أمه، وبين الفعل المضارع العربي؟.

---

١ – البقرة:٩.

٢ – آل عمران ٣٥–٣٦.

٣ – صحيح البخاري، (١٧٥/١)، باب الخدم في المسجد برقم ٤٤٧.

٤ – جمهرة اللغة، (٨٠٥/٢).

٥ – آل عمران ٣٧.

٦ – سورة المائدة – الآية ٧٥.

٧ – مريم الآية ٧.

ويشبه هذا تبشير عيسى بأحمد عَلَيهما الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فقد قال تعالى على لسان عيسى عَلَيه السَّلامُ: ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[1]، وواضح أن هذا الاسم عربي، مأخوذ من الحمد، ومثله: يعقوب، وهو بشارة لسارة بأن تنجب إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فهو عقب لها ولزوجها.

ولكن السؤال المهم بعد أن عرفنا اتحاد هذه اللغة هو: ما هي هذه اللغة المتحدة؟!.

ولعل المجيبَ عن هذا السؤال في حاجة ماسة لتأمل الأدلة التي سيحاول البحث التأكيد عليها في الفصل التالي.

١ – الصف الآية ٦.

الفصل الثاني:(البراهين والأدلة على قِدَم العربية)

إن أقدم النصوص التي تدل على قِدَم العربية اتفاق العلماء على أن:

١ – عاد وثمود قبيلتان عربيتان

فأول الأمم بعد نوحٍ عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ ذكرها الله تعالى في كتابه كانت عادًا –ونبيُّهَا هودٌ–، ثم ثمودَ –ونبيُّها صالحٌ–، وكانت هاتان الأمتان عربيتين، وكان هودٌ وصالحٌ عربيين[(١)]، ولاتفاق المؤرخين وغيرهم على هذا فلسنا بحاجة إلى ذكر نصوصهم.

٢ – ذو القرنين عربيٌّ

كان ذو القرنين في عهد إبراهيم عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وآمن به[(٢)]، وبَعَثَهُ اللهُ تعالى في الأرض ليُعْلِيَ كلمتَه، وكان عربيًا، والدليل على عربيته:

أ – قول الحافظ ابن حجر العسقلاني[(٣)]: (والذي يُقَوِّي أَنَّ ذَا القَرنينِ مِنَ العربِ كَثْرَةُ مَا ذَكَرُوهُ في أشعارِهِمْ، قَالَ أَعْشَى بَنِي ثَعْلَبَة[(٤)]:

وَالصَّعْبُ ذُو القَـرْنَينِ أَمْـسَى ثَاوِيًـا ... بِـالحِنْوِ فِـي جَـدَثٍ هُنَـاكَ مُقِـيم

وقال الرَّبِيعُ بن ضُبَيْع[(٥)]:

وَالصَّعْبُ ذُو القَـرْنَيْنِ عَمَّـرَ مُلْكَـه ... أَلْفَـيْنِ أَمْـسَى بَعْـد ذَاكَ رَمِيمًـا

وقال قُسّ بنُ سَاعِدَة[(٦)]:

وَالصَّعْبُ ذُو القَـرْنَينِ أَصْـبَحَ ثَاوِيًـا ... بِاللَّحْـدِ بَـيْنَ مَلاعِـبِ الأَرْيَـاح

---

(١) انظر: الثقات لابن حبان: ٢/ ١٢٨، صحيح ابن حبان: ٢/ ٧٧، حلية الأولياء: ١/ ١٦٧، تفسير ابن كثير: ١/ ٥٨٦ – ٥٨٧، موارد الظمآن للهيثمي: ٥٣.

(٢) الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١٨٩، واستدل الحافظ ابن حجر العسقلاني على قدمه، وأنه غير الإسكندر المقدوني بعدة دلائل، أذكر هنا منها ما يدل على قدمه؛ قال ابن حجر –فتح الباري: ٦/ ٣٨٢–: (والَّذِي يَدُلّ عَلَى تَقَدُّم ذِي الْقَرْنَيْنِ مَا رَوَى الْفَاكِهِيّ مِنْ طَرِيق عُبَيْد بْن عُمَيْر أَحد كِبَار التَّابِعِين: أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ حَجَّ مَاشِيًا فَسَمِعَ بِهِ إِبْرَاهِيم فَتَلَقَّاهُ –أخبار مكة: ١/ ٣٩٤، وانظر: العظمة لأبي الشيخ: ٤/ ١٤٧٨–، وَمِنْ طَرِيق عَطَاء عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ دَخَلَ الْمَسْجِد الْحَرَام فَسَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيم وَصَافَحَهُ –أخبار مكة: ١/ ٣٩٤–، ويُقَال إِنَّهُ أَوَّل مَنْ صَافَحَ –أخبار مكة: ٣/ ٢٢١–. وَمِنْ طَرِيق عُثْمَان بْن سَاج أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ سَأَلَ إِبْرَاهِيم أَنْ يَدْعُو لَهُ، فَقَالَ: وكَيْفَ وَقَدْ أَفْنَدْتُمْ بِذْرِي؟ فَقَالَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِي، يَعْنِي أَنَّ بَعْض الْجُنْد فَعَلَ ذَلِكَ بِغَيْرِ عِلْمه.

وذَكَرَ اِبْن هِشَام فِي "التِّيجَان" أَنَّ إِبْرَاهِيم تَحَاكَمَ إِلَى ذِي الْقَرْنَيْنِ فِي شَيْء فَحَكَمَ لَهُ.

وَرَوَى اِبْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق عَلِيّ بْن أَحْمَد أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ قَدِمَ مَكَّة فَوَجَدَ إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل يَبْنِيَانِ الْكَعْبَة فَاسْتَفْهَمَهُمَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالا : نَحْنُ عَبْدَانِ مَأْمُورَانِ، فَقَالَ مَنْ يَشْهَد لَكُمَا؟ فَقَامَتْ خَمْسَة أَكْبُش فَشَهِدَتْ، فَقَالَ : قَدْ صَدَقْتُمْ، قَالَ: وأَظُنّ الأَكْبُش الْمَذْكُورَة حِجَارَة، ويُحْتَمَل أَنْ تَكُون غنمًا، فَهَذِهِ الآثَار يَشُدّ بَعْضهَا بَعْضًا، ويَدُلّ عَلَى قِدَم عَهْد ذِي الْقَرْنَيْن)، انتهى كلام ابن حجر.

(٣) فتح الباري: ٦/ ٣٨٤، وقال ناصر خسرو في سفر نامة: ١٢٤– ١٢٦: "وفي اليمن قصر غمدان بمدينة اسمها صنعاء وقد بقي من أطلال كالتل في وسطها ويقال هناك إن رب هذا القصر كان ملكًا على العالم كله"، فلعله لذي القرنين.

(٤) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، (١٧٩/٣)،وفتح الباري، (٣٨٤/٦). وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، (٣٧٣٩/٦).

(٥) التيجان في مُلوك حِمْيَرْ، (ص١٣٢).

(٦) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، (١٧٩/٣)،وفتح الباري، (٣٨٤/٦)

وقال تُبَّع الحمْيَرِيّ[١]:

قَدْ كَـانَ ذُو القَـرْنَينِ قَبْلِـيَ مُـسْلِمًا مَلِكًـا تَـدِين لَـهُ المُلُـوك وتَحْـشُدُ

مِـنْ بَعْـده بَلْقِـيس كَانَـتْ عَمَّتِـي مَلَكَـتْهُمُ حَتَّـى أَتَاهَـا الْهُدْهُـدُ

وقال بعضُ الحَارِثِيِّينَ يفتخرُ بكَونِ ذي القرنين مِنَ اليَمَن يُخَاطب قوماً مِنْ مُضَر[٢]:

سَـمُّوا لَنَـا وَاحِـدًا مِـنْكُمْ فَنَعْرِفَـهُ فِي الجَاهِلِيَّة لاسْـمِ المُلْـكِ مُحْـتَمِلا

كَـالتُّبَّعَينِ وَذِي القَـرْنَين يَقْبَلَـهُ أَهْل الحِجَا وَأَحَـقّ القَـوْل مَـا قُـبِلا

وقال النُّعْمَان بنُ بَشِير الأَنْصَارِيّ الـصَّحَابِيّ ابْـن الـصَّحَابِيّ -رَضِـيَ اللهُ تَعَـالَى عَنْهُمَا[٣]:

وَمَنْ ذَا يُعَادِينَا مِـنْ النَّـاس مَعْـشَر كِـرَام وَذُو الْقَـرْنَيْنِ مِنَّـا وَحَـاتِم

وَيُؤْخَذ مِنْ أَكْثَر هَذِه الشَّوَاهِد أَنَّ الرَّاجِح فِي اسْمه الصَّعْب، وَوَقَعَ ذِكْر ذِي الْقَرْنَيْنِ أَيْضًا فِي شَعْر امْرِئِ الْقَيْس، وَأَوْس بْن حجْر، وَطَرَفَة بن الْعَبْد، وَغَيْرِهم[٤]).

ب – ومما يستأنس به هنا ما رُوِيَ عن علباء بن أحمر: أن ذا القرنين قدم مكة، فوجد إبراهيم وإسماعيل يبنيان قواعد البيت من خمسة أجبل، فقال: ما لكما ولأرضنا؟ فقال: نحن عبدان مأموران أمرنا ببناء هذه الكعبة، قال: فهاتا بالبينة على ما تدعيان، فقامت خمسة أكبش، فقلن: نحن نشهد أن إبراهيم وإسماعيل عبدان مأموران أمرًا ببناء هذه الكعبة، فقال: قد رضيت وسلمت، ثم مضى[٥].

فقوله: (ما لكما ولأرضنا) يدل على أن جزيرةَ العرب كانت موطن ذي القرنين، والأبيات قبله تدل على أنه من مُلُوك اليمن.

٣ – موسى وهجرته إلى مدين

كانت مدين من الأمم التي سكنت شمال جزيرة العرب، وقد ذكرهم نبيهم شعيب عَلَيهِ السَّلام بالأمم التي قبلهم، قال تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾[٦]، ثم قال تعالى:

(١) فتح الباري، (٣٨٥/٦)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر، (٣٣٣/١٧).
(٢) فتح الباري، (٣٨٥/٦).
(٣) فتح الباري، (٣٨٥/٦)والروض الأنف،(١٧٩/٣).
(٤) منهم عرام بن المنذر المعمر، انظر: نسب معد واليمن الكبير: ١/ ٢٢٦.
(٥) تفسير ابن كثير: ١/ ١٨٠.
(٦) هود: ٨٩.

﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾[(١)] ترى لماذا اختار المولى جل وعلا ثمود من بين تلك الأمم، وكان الأولى أن يختار أقرب الأمم إليها زمناً؟!، والمتأمل يرى أن سبب اختيار الله لهم هو المشابهةُ في الصفات والطبائع؛ قال ابن كثير: (وكانوا جيرانَهم، قريبًا منهم في الدار، وشبيها بهم في الكفر وقطع الطريق، وكانوا عربًا مثلهم)[(٢)].

وفي سورة القصص بيَّنَ الله لنا هروب موسى عَلَيه وَعَلَى نَبيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاة وَالسَّلام من مصر إلى مدين، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[(٣)]، ثم قال: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾[(٤)].

وعن أبي حازم –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– قال: (إنَّ موسى بنَ عِمْرَانَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عليها رِعاءً يَسْقُون، ووجَدَ من دونهم جاريتَيْن تَذُودَان، فسألهما، فقالتا: لا نَسقِي حتى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ، وأبونا شيخٌ كَبير، فسقَى لهما، ثم تولَّى إلى الظلِّ، فقال: رَبِّ إنِّي لما أنزلت إلي من خير فقيرٌ، وذلك أنه كان جائعًا خائفًا، لا يأمَنُ، فسألَ ربَّهُ، ولم يسأَلْ النَّاسَ، فلم يَفْطِنْ الرِّعَاءُ، وفَطِنَتْ الجاريتان، فلَمَّا رجَعتَا إلى أبيهما، أخبرتاه بالقصَّة وبقَوْله، فقال أبو هما –وهو شُعَيْبٌ–: هذا رجلٌ جائعٌ، فقال لإحداهما: اذهبي فادْعيه، فلمَّا أَتتْهُ عَظَّمَتْهُ، وَغَطَّتْ وجهَها، وقالت: إنَّ أَبي يَدْعوك ليجزيَكَ أجرَ ما سَقَيْتَ لنا، فَشَقَّ على موسى حينَ ذكرتْ: أجرَ ما سقيْتَ لنا، ولم يَجِدْ بُدًّا من أَنْ يتبَعَها؛ إنّه كان بين الجبال جَائعًا مُسْتَوْحِشًا)[(٥)].

والسؤال هنا: كيف خاطب موسى المصْريّ عَلَيه وَعَلَى نَبيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاة وَالسَّلام المرأتين العربيتين، ثم أباهما الشيخَ الكبيرَ[(٦)]؟، فلا بد من اتحاد لغة موسى المصري، مع لغة مدين العربية.

(١) هود: ٩٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢/ ٤٥٩.
(٣) القصص: ٢٢ – ٢٣.
(٤) القصص: ٢٥ – ٢٨.
(٥) سنن الدارمي: ١/ ٢٦٥، حلية الأولياء: ٣/ ٢٣٦.
(٦) وقيل: إنه ابن أخي شعيب، وقيل غير ذلك، انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٨٥، والذي يهمنا هنا أنَّ مدين مدينة عربية.

٤ – سليمان عَلَيهِ وَعَلَى نَبيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ مع بلقيس

قال تعالى على لسان الهدهد: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[١] ، وسبأ في جنوب جزيرة العرب، وبلقيس هي الملكة، وقد أجمع العلماء على أنها عربية، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢] ، فلا بد إذاً من كون سليمان عربيَّ اللسان ليبين لهم آيات ربه، ويدعوهم إلى طريق الحق، ولو كان غير عربي فليس له عليها سلطان؛ لأن جميع الأنبياء كانت رسالتهم خاصة لأقوامهم إلا رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ؛ فإن دعوته عامة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[٣] ، وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أُعْطِيتُ خمساً لم يعطهن أحد قبلي: ... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[٤] .

وعن ابن عباس –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُما– قال: إن الله فَضَّلَ محمدًا على الأنبياء وعلى أهل السماء، فقالوا: يا ابن عباس، ... فما فَضْلُهُ على الأنبياء؟ قال: قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٥] ، وقال الله عز وجل لمحمد صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٦] ، فأرسله إلى الجن والإنس[٧] .

٥ – عربية سليمان عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

قال تعالى على لسان بلقيس: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾[٨] ، وهذا دليل ظاهر على عربيته في استخدامه: ألفاظ البسملة، وهي ألفاظ عربية.

من أجل كل تلك الأدلة والبراهين، وما أورده البحث من نصوص بهدف إثبات وحدة اللغة في عهد آدم عليه السلام من جانب، وما أكده البحث من قدم اللغة العربية من جانب آخر.

---

(١) النمل: ٢٢، وانظر الآيات بعدها

(٢) إبراهيم: ٤.

(٣) سبأ: ٢٨.

(٤) رواه البخاري: ١/ ١٢٨، وعدة مواطن أخر.

(٥) إبراهيم: ٤

(٦) سبأ: ٢٨

(٧) سنن الدارمي: ١/ ٣٨، المستدرك: ٢/ ٣٨١، شعب الإيمان: ١/ ١٧٣، وقال في مجمع الزوائد –٨/ ٢٥٥–: (رواه الطبراني –المعجم الكبير: ١١/ ٢٣٩–، ورجاله رجال الصحيح غير الحكم بن أبان وهو ثقة، ورواه أبو يعلى باختصار).

(٨) النمل: ٣٠.

الخاتمة:

إن المتأملَ مَا سبق، والمرتب ترتيبًا زمنيًا الأحداثَ المذكورة في كتاب الله، أو في سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يستنبط من صريحها تارة، ويستأنِسُ من مفهومها تارة أخرى؛ ليقف على ما يأتي:

أولًا: تقارب لغة العالم جزيرة العرب والعراق والشام ومصر وغيرها– في عهود متطاولة، فلغة العالم في عهد ذي القرنين متقاربة، ما عدا ما بين السدين[(١)]، وفي عهد موسى كانت مصر وشمال جزير العرب متحدة، وإرسال سليمان لبلقيس يدل على اتحاد لغة الشام باليمن في عصره، ولقد بقيت بعض صور التقارب حتى عهد زكريا ويحيى عَلَيهِما السَّلامِ، ويظهر ذلك في تسمية الله ليحيى، وتبشير عيسى بأحمدَ.

ثانيًا: لم تكن لغةُ العالم في ذلك العصر إلا اللغةَ العربية بلهجاتٍ متقاربة متعددة، يحقق هذا عربية ذي القرنين، وعربية إسماعيل، وعربية مدين، وعربية موسى وقومه، وعربية سليمان، ثم مخاطبة هاجر لجرهم، ومخاطبة إبراهيم لزوجتي ابنه إسماعيل.

ثالثًا: إذاً لم تكن هناك لغة أخرى غير اللغة العربية، وهذا يدل على أن لغة نوح كانت عربية أيضًا؛ لأن أولَ الأممِ بعده عربٌ –أعني عادًا وثمود–، فمن بعدهم، والظاهر أنّ لغةَ آدم عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ كانت العربية؛ إذ لا يوجد في الساحة غيرها؛ ويستأنس له بما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (احفظوني في العرب لثلاث خصال؛ لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي)[(٢)]، فآدم عَلَيهِ السَّلامِ سكن الجنة هو وزوجه، وكلام أهل الجنة عربي، فآدم عربي لو صح هذا الحديث[(٣)].

رابعًا: أقدم نَصٍّ تحدَّثَ عن بداية البعد والانحراف اللغوي في لسان أهل الأرض كان في عهد ذي القرنين، وكان ذلك بين السَّدَّين: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴾[(٤)]، فهذا أول انحراف في اللغة، مع أن ذا القرنين فَهِمَ منهم إلا أنه بصعوبة، ويدل على ذلك فعل المقاربة وهو قوله تعالى: ﴿ لَّا يَكَادُونَ﴾[(٥)].

---

(١) وأهم سبب في بقائها هذه المدة الطويلة –أعني إلى عهد إبراهيم– دون تغيير يذكر هو عدم وجود لغات تحتك بها هذه اللغة الأم لكي تغيرها، كما لو عاشت أمة منعزلة عن لغات الناس، لبقيت كثيرٌ من معالمها، وساعد على ذلك أيضًا: اتحادها في عصر نوح.

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ١١/ ١٨٥، المعجم الصغير: ٩/ ٦٩، المستدرك: ٤/ ٩٧، ٩٨، معرفة علوم الحديث: ١٦٢، شعب الإيمان: ٢/ ١٥٩، ٢٣٠، الفوائد التمام: ١/ ٦١، وانظر: مجمع الزوائد: ١٠/ ٥٢، ٥٣.

(٣) لم يسلم هذا الحديث من ضعف رواته؛ لذا أوردتُه هنا استئناساً لا استشهادًا، انظر: مجمع الزوائد: ١٠/ ٥٢، ٥٣.

(٤) الكهف: ٩٣، قال ابن مالك في التسهيل: (وتنفي كاد إعلامًا بوقوع الفعل عسيرًا، أو بعدمه وعدم مقاربته)، انظر: شرح التسهيل لابن عقيل: ١/ ٣٠٣.

(٥) الكهف: ٩٣.

خامسًا: يؤكد هذا البحث القولَ بأن القرآنَ عربيٌّ كلُّه، فليس فيه كلمةٌ أعجمية، وقد ذهب إلى هذا المذهب كثير من الأئمة، وعلى رأسهم الإمام الشافعي[(١)]، وما قيل عنه بأنه غير عربي فإنما هو كلمات عربية قديمة جدًا، وقعت في لغات الأمم الأخرى، وأهملت العرب استعمالها قبيل الإسلام حتى ظنت أنها غير عربية، وهذا ما يسميه علماء اللغة بالإماتة؛ كإماتتهم ماضي يدعُ قال سيبويه: (كما أن "يَدَعُ" على "وَدَعْتُ"، و"يَذَرُ" على "وَذَرْتُ" وإن لم يُستَعملا، استُغْنِيَ عنهما بـ"تركت")[(٢)].

سادسًا: قال الجصاص في تفسير قوله تعالى: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾:(تحريفهم إياه يكون بوجهين: أحدهما: بسوء التأويل، والآخر: بالتغيير والتبديل، وأما ما قد استفاض وانتشر في أيدي الكافة فغير ممكن تغيير ألفاظه إلى غيرها لامتناع التواطؤ على مثلهم، وما لم يستفض في الكافة، وإنما كان علمه عند قوم من الخاصة يجوز على مثلهم التواطؤ، فإنه جائز وقوع تغيير ألفاظه ومعانيه إلى غيرها، وإثبات ألفاظ أخر سواها، وأما المستفيض الشائع في أيدي الكافة فإنما تحريفهم على تأويلات فاسدة، ... وإنما قلنا إنه غير جائز وقوع التحريف من جهة تغيير الألفاظ فيما استفاض وانتشر عند الكافة؛ من قبل أن ذلك لا يقع إلا بالتواطؤ عليه، ومثله مع اختلاف هممهم، وتباعد أوطانهم، لا يجوز وقوع التواطؤ منهم على مثله)[(٣)].

قلت: ويمكن أن يحرفون الكلم عن مواضعه بالخطأ في الترجمة، وذلك حين تتحرف لغتهم عن لغة التوراة أو الإنجيل، إلا في طائفة محصورة، ثم يحتاجون بعد ذلك إلى ترجمتها، كما يفعل اليوم مثلًا بروايات (شكسبير)، فإنها تترجم من الإنجليزية إلى الإنجليزية، الإنجليزية القديمة، إلى الإنجليزية الحديثة، فكذلك يفعل أئمتهم حينما يترجمون لهم التوراة والإنجيل.

(١) الرسالة: ٤٠، فقرة: ١٢٧، وانظر: المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب: ١٩١ – ١٩٧.
(٢) الكتاب لسيبويه: ٤/ ٦٧.
(٣) أحكام القرآن للجصاص: ٤/ ٤١.

المصادر والمراجع:

١ــ أحكام القرآن، أحمد بن علي أبي بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٢ــ أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢ هـ)، تحقيق: د. عبدالملك عبدالله دهيش، دار خضر – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

٣ــ الأم، الشافعي أبي عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبدالمطلب بن عبدمناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤ هـ)، دار المعرفة – بيروت، سنة: ١٤١٠ هـ/١٩٩٠م.

٤ــ تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩ – هـ – ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين العمروي، دار الفكر للطباعة، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

٥ــ تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

٦ــ التيجَان في مُلوك حِمْيَرْ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء – الجمهورية العربية اليمنية، الطبعة: الأولى، ١٣٤٧ هـ.

٧ــ الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤ هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبدالمعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م.

٨ــ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشرته: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٩ــ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

١٠ــ جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق:رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

١١ــ الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبي عبدالله (المتوفى:٣٧٠ هـ)، تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة،١٤٠١ هـ.

١٢ــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ)، دار السعادة ، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤م.

١٣ــ الرد على المنطقيين، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، دار المعرفة – بيروت.

١٤ــ الرسالة، الشافعي أبي عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبدالمطلب بن عبدمناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤ هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨ هـ/١٩٤٠م.

١٥ــ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

١٦ــ سفر نامه، أبي معين الدين ناصر خسرو الحكيم القباديانى المروزي (المتوفى:٤٨١ هـ)، تحقيق: د. يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٣م.

١٧ــ سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (المتوفى: ٢٧٩ هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبدالباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

١٨ــ السنن الكبرى، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى ــ ١٣٤٤ هـ.

١٩ــ سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبي عبدالرحمن النسائي، تحقيق: د.عبدالغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١م.

٢٠ــ سنن سعيد بن منصور، أبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية – الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ -١٩٨٢م.

٢١ــ شرح التسهيل لابن عقيل = المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، حققه: محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، ١٤٠٢ – ١٩٨٢م.

٢٢ــ شعب الإيمان، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠م.

٢٣ــ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق:د / حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني– يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

٢٤ــ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣م.

٢٥ــ صحيح البخاري،أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.

٢٦ــ طبقات المحدثين بأصفهان، أبي محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩ هـ)، تحقيق: عبدالغفور عبدالحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ – ١٩٩٢م.

٢٧ــ عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبي عبدالرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩ هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.

٢٨ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، نشرته: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، وعليه تعليقات العلامة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

٢٩ــ الفوائد، تمام بن محمد الرازي أبي القاسم، (المتوفى: ٤١٤ هـ)، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٢ هـ.

٣٠ــ لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير وغيره، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٣١ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ.

٣٢ــ المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ)، دار المعرفة – بيروت، مصورا عن الطبعة الهندية.

٣٣ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

٣٤ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٣٥ــ مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبدالصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥ هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م.

٣٦ــ مصنف ابن أبي شيبة = الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبي بكر بن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥ هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشرته: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

٣٧ــ المصنف، أبي بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي– الهند، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.

٣٨ــ معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥

٣٩ــ المعجم الصغير للطبراني للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٤٠ــ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

٤١ــ معرفة علوم الحديث، أبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ)، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧م.

٤٢ــ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب موافقا للمطبوع، جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي، تحقيق: سمير حسين حلبي، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٤٣ــ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني – عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة: الأولى، (١٤١١ – ١٤١٢ هـ) = (١٩٩٠ م –١٩٩٢ م).

٤٤ــ نسب معد واليمن الكبير، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (المتوفى: ٢٠٤ هـ)، تحقيق: الدكتور ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٤٥ــ نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: حسن السماعي سويدان، دار القادري – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.